المبحث الأول

الآيات والأحاديث
التي ينطلق منها موضوع الكتاب

إن مستندي عند تتبع آثار المغاربة في نشر الدعوة والثقافة في نيجيريا بين الأمس واليوم يتلخص في قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(الجمعة:٢،٣) .

اتفق جميع المفسرين على أن المقصود بالأميين هم العرب جريًا على ما كان اليهود يطلقونه على غيرهم ممن ليس لهم كتاب منزل وأولهم العرب حينذاك ، وبالتالي من كان كذلك من غير العرب ، ولإثبات أمية العرب جاء الحديث النبوي الشريف : «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» ، ولما أراد الله رفع الأمية عن الأمة العربية بعث فيهم رسولاً منهم،وأنزل عليه الكتاب وأمره أن يتلوه عليهم وعلى غيرهم من الأمم الأخرى التي لم ينزل فيهم

الكتاب ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ وقال في شأن غير العرب ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الأنعام:٩٢) .

فكانت رسالة النبي العربي عالمية ، ولم تقتصر على العرب كما اقتصرت رسالة سيدنا موسى وعيسى على بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧) ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف:١٥٨) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ:٢٨) .

أما تفسير ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾ فقد اتفق المفسرون أيضًا على أن المراد بهم كل من أسلم من غير العرب من العجم على اختلاف أجناسهم إلى يوم القيامة ، ويقول ابن كثير في تفسيره : روى الإمام البخاري عن أبي هريرة أنه قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾ ، قالوا من هم يا رسول الله فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثًا وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله يده على سلمان ثم قال « لو كان الإيمان عند الثريّا لناله رجال من هؤلاء »[1]. هذا

(1) ٣٦٣/٤ رواه مسلم والترمذي .

فيما يتعلق بأعاجم الشرق ، أما أعاجم الغرب فقال مجاهد : كل من صدق النبي من غير العرب ، وسمعت من أحد مشائخنا أثراً من الآثار لم أقف حتى الآن على تخريجه ، ولكن معناه صحيح يناسب المقام هو ما قيل : أحبوا السودان لأن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن أو كما قالوا ؛ لهذا وذاك تقرر أن قبائل البربر والزنوج الذين دخلوا في الإسلام بالتبعية مع الصحابة العرب الذين نشروا الإسلام في شمال أفريقيا وغربها يندمجون في جملة ﴿ **وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ** ﴾ ، وإذا وجدنا في مصر أقباطًا أخذوا الإسلام من أيدي الصحابة العرب فانقلبوا بعد ذلك دعاة للإسلام يحملون لواءه إلى من يجاورهم فقد دخلوا بذلك في ﴿ **وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ** ﴾ وإذا ألفينا في بلاد الفرس أقوامًا من بني ساسان وبني إيران وطوران من تلقوا الدعوة من الصحابة وحملوها ونشروها بدورهم بين قومهم فقد انتظموا مع سلمان الفارسي في عداد ﴿ **وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ** ﴾ ، وإذا أدركنا في بلاد البربر في شمال أفريقيا وغربها أخلاطًا من مختلف الأجناس اعتنقوا الإسلام على أيدي الصحابة ، ثم صاروا بدورهم حماتَه يذودون عن بيضَتِه ويبلغونه إلى حيث وطئت أقدامهم في الصحراء وجنوب الصحراء إلى الغابات والمستنقعات ، فإنهم بدورهم يندمجون في حساب ﴿ **وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ** ﴾ .

فخلاصة القول في ذلك أن قبائل العرب الذين سكنوا شمال أفريقيا وغربها قبل ظهور الإسلام فأسلموا من الفينقيين والقرطاجنيين واليمنيين من الصنهاجيين والبرابرة ومن يليهم من الوناغرة صاروا بعد إسلامهم حملة الإسلام من الشمال إلى الغرب ولا تزال آثارهم واضحة ملموسة في تلك الجهات إلى اليوم .

أما ما يساند هذا الموضوع من الأحاديث فكثيرة ، منها حديث «أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره» وفي رواية أخرى «أمتي أمة مباركة لا يدري أولها خير أم آخرها»[1] وحديث «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[2] وحديث «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء»[3] .

لا يتسع المجال لسرد معاني هذه الأحاديث بالتفصيل ، وإنما نكتفي بالمعنى الإجمالي من حيث كون هذه الأحاديث جملة دليلاً وسندًا لكون العرب من الأميين الذين بعث الله فيهم رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

---

(1) أخرجه السيوطي في الجامع .

(2،٣) رواه مسلم .

ثم لكون أجناس البربر في شمال أفريقيا وغربها من الآخرين الذين لما يلحقوا بهم ، ثم لكون علماء المغاربة من أهل الغرب الذين لا يزالون ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة .

وأن الإسلام لما بدأ غريبًا قام الغرباء الأولون بنصرته ، وإذا عاد غريبًا من جديد يقوم الآخرون بنصرته ، فطوبى للغرباء الذين نصروه أولاً وآخرًا ، وربما نستأنس في هذا بقول امرئ القيس :

أجارتنا إنا غريبان هاهنا
وكل غريب للغريب نسيب

ويقول البوصيري في همزيته :

وسلَوه وحنّ جِذعٌ إليه
وقلَوه وودّه الغرباء

وأن الذين ينصرون الإسلام اليوم في كل مكان هم خير أمة أخرجت للناس كما كان الذين نصروه أولا خير أمة أخرجت للناس وهم كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره .